نحو هندسة إستراتيجية فعالة لحماية الأمن الثقافي العربي في زمن الرقمنة: الخيارات والبدائل

Towards an Effective Strategic Engineering to Protect Arab Cultural Security in the Age of Digitization: Options and Alternatives

سمير حمياز

جامعة بومرداس، الجزائر، s.hamiaz@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال: 2021/03/15 **تاريخ القبول:** 2021/03/21 **تاريخ النشر:** 2021/04/01

ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على الخيارات الإستراتيجية الكفيلة بحماية الأمن الثقافي العربي، خاصة في ظل التحديات الثقافية التي يفرزها عصر الرقمنة والعولمة، ومن هذا المنطلق تحول هذه الورقة التساؤل عن التداعيات التي يفرزها عصر الرقمنة والعولمة على الأمن الثقافي العربي وعن البدائل والخيارات التي يمكن أن تؤسس لبناء إستراتيجية فعالة لحماية الأمن الثقافي للمجتمعات العربية؟. وقد توصلت هذه الورقة البحثية، إلى أن حماية الأمن الثقافي العربي أصبح مطلب إستراتيجي بفعل الانكشافات التي تتعرض لها الهوية الثقافية للمجتمعات العربية، الأمر الذي يستدعي بلورة يقظة إستراتيجي جديدة كفيلة بحماية الأمن الثقافي العربي من تحديات ومخاطر الرقمنة والعولمة.

الكلمات المفتاحية: *الإستراتيجية؛ الأمن الثقافي؛ الرقمنة؛ العولمة؛ الهوية الثقافية.*

Abstract:

This paper attempts to study strategic options that guarantee the protection of Arab cultural security in facing the challenges of digitization, by addressing the following problem: What are the implications of digitization? And globalization on Arab cultural security, and what are the alternatives and options that can be found for building an effective strategy to protect Arab cultural security? This paper concluded that protecting Arab cultural security has become a strategic requirement due to the dangers to which the Arab cultural identity is exposed, which requires a new strategic vigilance capable of protecting Arab cultural security.

Keywords: *strategy; cultural security; digitization; globalization; cultural identity.*

* **المؤلف المرسل: سمير حمياز، s.hamiaz@univ-boumerdes.dz**

مقدمة:

يمثل الأمن الثقافي العربي، **ضرورة إستراتيجية** ملحة لضمان الخصوصية الثقافية، ولتحصين البناء الحضاري للوطن العربي، خاصة في ظل تنامي التحديات الثقافية التي تفرزها العولمة وسيادة الثقافة الرقمية، والمتمثلة أساسا في تصاعد تيارات الغزو الثقافي، الاستلاب الحضاري، الدعاية والتأثيرات المدمرة للتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال..، وغيرها من الوسائل والأذرع التي ترتكز عليها قوى العولمة لتقويض دعائم الأمن الهوياتي والثقافي العربي.

ومن هذا المنطلق، أصبح موضوع الحفاظ على الهوية والتأكيد على استقلالية الذاتية الثقافية وحماية خصوصيات وقيم المجتمعات العربية يحظى بأهمية بالغة، بفعل تأثيرات الرقمنة والعولمة وكذا الانفتاح المطلق وغير المدروس على الثقافات الغربية ومنتجاتها، الأمر الذي أدى إلى تكريس قيم جديدة تغتال الهوية الثقافية الأصلية القائمة على الدين واللغة والعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمعات العربية، لتحل مكانها تقاليد وأنماط سلوكية وقيم وافدة من الخارج، وهو ما يفضي إلى طمس معالم الهوية الثقافية للمجتمعات العربية وإفراغ المنطقة من محتواها القيمي والحضاري.

وعلى هذا، أصبح تحقيق الأمن الثقافي **مطلبا إستراتيجيا**، تتطلع إليه المجتمعات العربية، خاصة في ظل التحديات الثقافية التي أنتجتها العولمة وسيادة الثقافة الرقمية، ومن هذا المنطلق، **فإنه من الضروري التساؤل عن التداعيات الخطيرة التي يفرزها عصر الرقمنة و العولمة على الأمن الثقافي العربي وعن البدائل والخيارات الإستراتيجية التي من شأنها التأسيس لهندسة إستراتيجية فعالة لحماية الأمن الثقافي للمجتمعات العربية؟.**

سعيا للإجابة عن الإشكالية، تحاول هذه الورقة البحثية، اختبار **الفرضية التالية**:

حماية الأمن الثقافي العربي، مرهون بمدى نجاح الدول و المجتمعات العربية في هندسة إستراتيجية محكمة وكفيلة بمواجهة التحديات الثقافية التي يفرزها عصر الرقمنة والعولمة.

ولمعالجة الموضوع محل الدراسة، تم الاعتماد على **المنهج الوصفي التحليلي**، باعتباره يساعد ليس فقط على توصيف واقع الأمن الثقافي العربي في زمن الرقمنة، وإنما أيضا لكونه يقدم أطر تفسيرية للأسباب التي أدت إلى انكشاف الأمن الثقافي العربي، وكذا اقتراح الخيارات الإستراتيجية الكفيلة بحماية الهوية الثقافية العربية في مواجهة تحديات وتداعيات الرقمنة والعولمة.

قصد الإجابة عن الإشكالية والإحاطة بالجوانب المختلفة لموضوع الدراسة، تم تقسيم هذه الورقة البحثية، إلى المحاور التالية:

1. الإطار المفاهيمي للأمن الثقافي، الرقمنة والعولمة الثقافية.
2. واقع الأمن الثقافي العربي في زمن العولمة والثقافة الرقمية: قراءة في التحديات والإنكشافات.
3. تداعيات العولمة وسيادة ثقافة الرقمنة على الأمن الثقافي العربي.

4. بحث في الخيارات الإستراتيجية المتاحة لحماية الأمن الثقافي العربي في عصر العولمة وسيادة الثقافة الرقمية.

1. الإطار المفاهيمي للأمن الثقافي، الرقمنة والعولمة الثقافية

أ. التأصيل المفاهيمي للأمن الثقافي:

شهد مفهوم الأمن تطورات نوعية في المرحلة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة، حيث عرفت المرحلة تعميق وتوسيع مفهوم الأمن ليتجاوز الجانب العسكري، ليشمل أبعاد أخرى غير عسكرية، اقتصادية، سياسية، فكرية..،(Columba 2010, p.2) ويعد الأمن الثقافي أحد المواضيع المركزية في الدراسات الأمنية وبالخصوص في ظل تنامي الصراعات الحضارية، تيارات الغزو الثقافي..، في عصر العولمة والرقمنة.

يستدعي تأصيل مفهوم الأمن الثقافي من الناحية المنهجية، تفكيك هذا المفهوم وإعادة تركيبه، ولذلك سيتم التطرق بداية لبحث مفهوم الأمن والثقافة ومن ثم محاولة الخروج بتركيب تعريف للأمن الثقافي.

*** مفهوم الأمن:**

لقد ذهب "**باري بوزان**" الذي يمثل أحد أقطاب الدراسات الأمنية إلى تعريف الأمن على أنه "العمل على التحرر من الخوف والتهديد، أو أنه قدرة المجتمعات في الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعتبرها معادية" (Buzan 1991, p.18). أما "**هنري كيسنجر**" وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، فقد عرفه بأنه "الإجراءات المتخذة من قبل المجتمع توخيا للحفاظ على حقه في البقاء" (أوشن 2016، ص.187).

***مفهوم الثقافة:**

تشير الأبعاد المضامينية الشاملة لمفهوم الثقافة كما عرفها **المؤتمر العام للتنوع الثقافي في اليونسكو** إلى مجموع الخصائص المعنوية والمادية والفكرية والعاطفية للمجتمع أو لمجموعة من الأفراد، وتشمل إلى جانب الفنون والأدب وأسلوب الحياة، طرق التعايش، التقاليد والمعتقدات والقيم.

وتجدر الإشارة إلى أن الثقافة تتداخل مع مفهوم الهوية التي تنطلق من الإجابة على سؤال من أنا؟ ومن نحن؟، ولذلك، فالهوية تعني جوهر الشيء وحقيقته، أي أنها كالبصمة للإنسان يتميز بها عن غيره (بريجة 2015، ص.41). ولقد ذهب "**إليكس ميكشللي**" إلى تعريفها بأنها "عبارة عن مركب من العناصر المرجعية والمادية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي."(Abou 2002, p.37)، كما أن الهوية تعبر عن الثوابت والمبادئ والأسس التي تتميز بها أمة من الأمم. وهي أيضا جماع لثلاثة عناصر، العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان (اللغة) الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى (المنير 2000، ص.146).

***مفهوم الأمن الثقافي:**

يعتبر الأمن الثقافي أحد أهم جوانب الأمن القومي، الذي يشمل الأمن العسكري والسياسي والاقتصادي..، والأمن الثقافي يعني الحفاظ على الذاتية والهوية الثقافية في مواجهة محاولات الاحتواء والهيمنة على الشخصية الثقافية والحضارية (النجيري 1991، ص.15).

وقد عرف **أولي ويفر** مفهوم الأمن الثقافي على أنه "قدرة أي مجتمع في الحفاظ على ثقافته و هُويته في مواجهة الظروف والمتغيرات والأخطار الحقيقية والافتراضية المحدقة به." (بوحسن 2019، ص.323)، كما يقصد بالأمن الثقافي، تحصين ثقافة المجتمع، من كل ما من شأنه أن يهدد أو يخل بها، باعتبارها النظام الذي يسير به وعليه المجتمع. والأمن الثقافي هو بمثابة نظام المناعة الذي يصد كل عوامل الاختراق الذي قد يكون مصدره داخليا أو خارجيا.

كما يمكن تعريف الأمن الثقافي، بأنه الحفاظ على مكونات الهوية والذاتية الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة وبهذا المعني فهو حماية وتحصين الهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج. كما أن الأمن الثقافي يشير إلى بيان الأسس والقواعد المتوفرة في مجتمع ما، وتكوين قاعدة صلبة تمنع حالات الاختراق الثقافي عن طريق الغزو الفكري، الاغتراب والاستلاب الحضاري ..، وهو ما تعمل على تحقيقه تيارات وقوى العولمة (أوشن 2016، ص.189).

ب. مفهوم الرقمنة "الثقافة الرقمية":

يعد مفهوم الرقمنة "الثقافة الرقمية" من المفاهيم الحديثة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فهو يشير إلى المجال الذي يرتبط به (المجال الرقمي) مثله مثل الثقافة الصحية (المجال الصحي) والثقافة البيئية..، وتعني هذه المصطلحات التمكن من مجال معين أو امتلاك الفرد للسلوكيات المعرفية التي يستطيع من خلالها التفاعل مع هذه المجالات (لولي 2017، ص.67).

إن جوهر الثقافة الرقمية يكمن في تمكن أفراد المجتمع من استخدام التطبيقات الرقمية نظرا لأهميتها في انجاز أعمالهم الوظيفية والشخصية، وكذا قدرتهم في التوصل إلى المعلومات من خلال استخدامهم لهذه الأجهزة الرقمية. ونظرا لانتشار الثقافة الرقمية في زمن العولمة، أصبحت الأمية الرقمية من أخطر الأمراض التي يمكن أن تصيب المجتمع وأفراده في دلالة واضحة عن الفشل في التأقلم مع منطق العولمة والثورة المعلوماتية التكنولوجية.

ج. مقاربة معرفية حول العولمة والعولمة الثقافية:

تعد العولمة بمثابة الترجمة العربية للكلمة الفرنسية Mondialisation والانجليزية Globalization، فالعولمة حسب قاموس وبستر " تعني إكساب الشيء طابع العالمية، وجعل نطاقه وتطبيقه عالمياً." (عرسان 1998، ص.216) والملاحظ أنه لا يوجد تعريف واضح يحظى بإجماع الباحثين حول مفهوم العولمة، ذلك أن كل باحث يعرفها حسب واهتماماته توجهاته الفكرية.

وقد ذهب **"جيمس روزنو"** أحد علماء السياسة الأمريكيين إلى تعريف العولمة بأنها "العلاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد والسياسة والثقافة والإيدولوجيا، وتشمل إعادة إنتاج وتداخل الصناعات

عبر الحدود وانتشار أسواق التمويل وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول العالم." (هانس بيتر، شومان 1998، ص.40)، كما ينصرف مفهوم العولمة إلى تنميط وتوحيد العالم وفق النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والحكم والسياسة.

كما تعد العولمة مشروع حضاري غربي متكامل البنيات، أوجده التلاقي بين التطلعات والحاجات الغربية من جانب، والإمكانات المادية الهائلة التي أوجدتها الطفرات الكبيرة في تقنيات الاتصال والمعلومات والصناعات المتقدمة من جانب آخر(التويجري 2000، ص.38).

أما العولمة الثقافية فتشير كما عرفها **"محمد عابد الجابري"** إلى "تعميم نمط ثقافي وحضاري يخص بلد بعينه وهو الولايات المتحدة الأمريكية، على بلدان العالم أجمع، وهي أيضا إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته (الجابري 1998، ص.137). وذلك من خلال نشر القيم الأميركية والسلوك الأميركي ونمط الحياة الأميركي في العالم كله، وهو ما يفتح باب غزو للشعوب وثقافاتها وعقائدها.

ولذلك، فالعولمة الثقافية تعبر عن سيطرة وغلبة ثقافة من الثقافات على جميع ثقافات العالم. أي تذويب وصهر مختلق ثقافات العالم في الثقافة الغربية الرأسمالية. وعليه، فالعولمة الثقافية تعمل في جانبها الأكبر على تجاوز الهوية القومية، الدين، اللغة، الأرض، التاريخ لصالح هوية أوسع، هوية كونية ترتكز على القيم الغربية الرأسمالية.

ومن الجدير بالإشارة إليه، **أن ثمة فرقا جوهريا بين العالمية والعولمة**، فالعالمية تفتح الخصوصية، وترتقي بها إلى ما هو عالمي وكوني، أي أنها تعتبر قاسماً مشتركاً، تنفذ من خلاله رؤية تعبر عن وجهة نظر تستوعب جميع الثقافات والتكتلات والآراء، في إطار التساوي في التعايش بين بني الإنسان. بمعنى التفتُّح على العالم، وعلى الثقافات الأخرى، مع الاحتفاظ بالخصوصية، أما العولمة فهي تعبِّر عن وجهة نظر خاصة تسعى إلى نفي الآخر، وبسط سيطرتها على الرؤى الأخرى على المستوى الإقليمي أو العالمي (الجابري 1999، ص.15).

2. واقع الأمن الثقافي العربي في زمن العولمة والثقافة الرقمية: قراءة في التحديات والإنكشافات

يواجه الأمن الثقافي العربي تحديات جيوثقافية بالغة الخطورة في عصر العولمة وسيادة الثقافة الرقمية، الذي أصبحت فيه الخصوصيات الحضارية والثقافية التي تتمايز بها الأمم والشعوب على المحك، خاصة في ظل تنامي تيارات وقوى الغزو الثقافي و انبعاث الصراعات الحضارية والدينية..، التي تتخذ من الفضاء الرقمي كأداة لتحقيق السيطرة الثقافية.

إذ يمكن إبراز وتبيان التحديات التي تواجه الأمن الثقافي العربي، وبالخصوص في ظل قيام الغرب الرأسمالي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، بوضع نظام جديد يهدف إلى صياغة هوية عالمية واحدة، تزول على إثرها هويات وثقافات الشعوب الأخرى، وبخاصة العربية منها، حيث تثوب خصوصياتها التراثية والفكرية فيها. ضف إلى ذلك، سعي الغرب إلى تغريب الثقافات الأخرى، وإحلال القيم الثقافية الغربية مكانها، بحجة أنها تقليدية ومتخلفة وتعيش على هامش عصر التكنولوجيا و الحداثة.

كما تهدف الامبريالية الثقافية الغربية وبخاصة الأمريكية، إلى توحيد ثقافات العالم في بوتقة الثقافة الغربية، ومن ثم تحطيم حدود الثقافات الوطنية وإلغاء سيادتها والقضاء على مقوماتها التاريخية والحضارية، ومن ثم تكريس سيادة الثقافية الغربية، وترتكز هذه السيطرة الثقافية على توظيف العلم، التقانة والثقافة الرقمية، و كل ما أفرزته العولمة من ثورة معلوماتية وتكنولوجية كأذرع وأدوات للغزو والاختراق الثقافي والهيمنة على ثقافات الدول العربية، والعمل على طمسها وتذويبها في بوتقة الثقافة الغربية، بحجة دونية تلك الثقافة وأنها متخلفة عن ركب الحضارة الحديثة (سنو 2002، ص.ص.142-145).

والملاحظ، أنه قبل عصر العولمة وسيادة الثقافة الرقمية،لم يكن الأمن الثقافي العربي محل تهديد وانكشاف كما هو الحال في عصرنا الراهن، حيث كانت الهوية الثقافية متوارثة تستفيد من التقاليد السابقة في إطار الاستمرارية مع الماضي، أما في عالم اليوم، يلاحظ أن الهوية الثقافية أصبحت ضحية لإفرازات العولمة، ذلك أن هذه الأخيرة تعمل في جانبها الأكبر على تقويض الهوية وطمس الخصوصيات الحضارية والثقافية للشعوب الأخرى، وذلك ليس فقط من خلال مختلف الآليات التي أنتجتها العولمة كالرقمنة التكنولوجيات الحديثة، شبكات الانترنت، الثورة المعلوماتية..،(أوشن 2016، ص.191) وإنما أيضا بتوظيف شعاراتٍ من قبيل "العالمية، الديمقراطية، حقوق الإنسان..."، وبتوظيف مقتدر لمعطياتِ التقنية الحديثة، تعمل الحضارة الغربية على تشكيلِ ثقافات الشعوب العربية، ومقولاتها، وقيمها، وتفكيرِها، وأنماطَ سلوكها..، بما يتناسبُ مع الهيمنة المطلقة للحضارةِ الغربية-الأمريكية، عن طريقِ إجبار تلك الأمم والشعوب على التخلي عن ثقافاتها، باعتبارِها ثقافاتٍ دونية، ومتخلفة عن ركب الحضارة الحديثة.

واللافت للنظر، أن استخدام كل أنواع التحطيم لخصوصيات الشعوب غير الغربية، ومنها القضاء على القيم الروحية والدينية التي تتركز على الهوية الثقافية يعد **شرطاً رئيساً ومؤسسيا للعولمة ولانتشارها**، ذلك أن إحداث تفسُّخ في الثقافات القومية والعقائد والخصوصيات ومنظومات القيم للشعوب والأمم، يجعل شعور الناس فيها بهوياتها أو غائباً، ومن ثم يجعل دفاعهم عن خصوصية وهوية ودور ومكانة غائباً، الأمر يجعلها عرضة للهيمنة الثقافية الغربية (عرسان 1998، ص.ص.217-219).

وتتجلى مظاهر انكشاف الأمن الثقافي العربي، في المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص، من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس وأنماط تفكيرهم، فقد أصبحت الموسيقى والبرامج التلفزيونية، والأفلام السينمائية الأمريكية منتشرة بكثرة في المنطقة، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة، والمشروبات، وغيرها من السلوكيات الاستهلاكية انتشرت على نطاق واسع، ويبدو أنها تعتمد في نشر نمطها الثقافي ليس فقط على تفوقها التقني، وإنما أيضا على هيمنتها الاقتصادية والسياسية.

كما أن المنظمات الداعية والعاملة على فرض العولمة تعمل على استثمار الثقافة الرقمية ومنجزات ثورة المعلومات والاتصالات والتقدم التقني في نشر ثقافة جماهيرية واحدة وبقوالب محددة مسبقة الصنع عمودها الفكري الاستهلاك، فالإعلام أصبح بمثابة البوصلة التي توجه الأجيال الجديدة في أنماط التفكير وطريقة الحياة..، الأمر الذي يؤدي إلى إحداث تغييرات عميقة في منظومة القيم الحالية وفي الخصوصية الحضارية الموجودة في المجتمعات العربية ويعمل على تقويضها (تركي 1998، ص.204).

يمكن إرجاع الحركيات السببية التي أدت إلى انكشاف واختراق الأمن الثقافي العربي إلى العناصر التالية:

- التبعية للخارج، وهو ما أطلق عليه **"مالك بن نبي"** "بالقابلية للاستعمار"، وهو أيضا ما عبر عنه "ابن خلدون" بمقولة "أن المغلوب مولع بتقليد الغالب في مأكله ومشربه وملبسه..." والملاحظ أن هذه التبعية عرضة للتزايد وبخاصة في ظل غياب الحصانة الفكرية للمجتمعات العربية.
- تخلي المؤسسات الثقافية العربية عن مسؤوليتها الاجتماعية في التنشئة ونشر الوعي الثقافي، بالنظر إلى حقيقة المخرجات التربوية والجامعية، حيث أنها لم تعد ذات كفاءة علمية فهي غير قادرة على إنتاج شخصيات وطنية مثقفة بعيدا عن جعل الثقافة في خدمة السلطة السياسية.
- قلة المناعة الثقافية **وانعدام الوعي واليقظة الإستراتيجية** بشأن حجم التحديات والمخاطر التي تفرزها تيارات وقوى العولمة على الأمن الثقافي العربي.
- تجاذب تيارات الأصالة والمعاصرة لدى الشباب العربي خاصة في مرحلة المراهقة، وهو الأمر الذي جعله لا يفهم واقع مجتمعه في ظل غياب الإرشاد والتوجيه المعتدلين من قبل وسائل الإعلام ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.
- مخلفات ورواسب الاستعمار وتأثيره على معالم الهوية العربية، خاصة بالنسبة للغة، حيث يلاحظ في الجزائر مثلا، سيطرة اللغة الفرنسية داخل دواليب الإدارة، حتى بالنسبة للمجتمع المدني وداخل المدارس في حد ذاتها (النجيري 1991، ص.ص.38-39).

3. تداعيات العولمة و سيادة ثقافة الرقمنة على الأمن الثقافي العربي

لقد أدت سيادة ثقافة الرقمنة ومختلف منتجات العولمة إلى إفراز تداعيات خطيرة على الأمن الثقافي العربي، والملاحظ أن العولمة الثقافية وما تنطوي عليه من تيارات للغزو الفكري هي في حقيقتها أخطر أنواع العولمة، ليس فقط باعتبارها تؤسس لتقويض المنظومة التربوية للمجتمعات العربية، من خلال التدخلات الخارجية لتغيير المناهج التعليمية واستخدام وسائل الدعاية والإعلام، وإنما أيضا لكون هذه الاختراقات التي تحدثها العولمة الثقافية على الهوية، تعد مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والثقافة الوطنية، خاصة وأن العولمة تعمل في جانبها الأكبر على تكريس منطق تبعية الأطراف لقوى المركز (قريوة، هماس 2016، ص.91).

والملاحظ أن المخططات التي ترسمها قوى العولمة لتفتيت المجتمعات العربية قد تجاوزت الأبعاد السياسية والجغرافية إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية والفكرية والروحية، لذا، فإن قوى العولمة و بتوظيف محكم لأدوات الرقمنة أصبحت تحمل في طياتها نوعا آخر من الصراع الحضاري والهوياتي والغزو الثقافي الذي يستهدف القضاء على الثقافات الأخرى، ولذلك، فالاختراق العولمي بتوظيف أدوات الرقمنة هو عكس العالمية باعتباره يعني إلغاء الحوار والتبادل الحضاري والحلول محله، ويستهدف العقل والنفس واللذين هما الأداتين اللتين من خلالهما يتم التفسير والتأويل وقبول ما هو مفيد ومحاربة ومواجهة ما لا يتناسب مع خصوصياتنا

الحضارية، بحيث انتقلت قوى الهيمنة الدولية من السيطرة عن طريق القوة إلى السيطرة عن طريق ثقافة الرقمنة والصورة السمعية والبصرية، التي تسعى إلى تسطيح الوعي وغزو العقول (قريوة، هماس 2016، ص.91).

ولذلك، لا تخلو العولمة وثقافة الرقمنة من توجه استعماري جديد يتركز على الهوية واحتلال العقل والإرادة وجعلهما يعملان وفق أهداف المستعمر، وفي إطار خططه ومصالحه الإستراتيجية مع تحييد قوة الدولة أو إنهاكها واستلابها وانتزاع مقومات حضورها و تأثيرها الاجتماعيين وفرض نوع من الإدراك الواقعي مع إلحاق نوع من الشلل بالوعي المنقذ. وعليه، فالغزو الفكري والثقافي، هو في الحقيقة أخطر من الغزو العسكري، باعتباره يقضي على هوية ومناعة الأمة وينتزع روح المقاومة منها ويطوعها لقوى الهيمنة الدولية وللإمبريالية الثقافية (عرسان 1988، ص.219).

كما يلاحظ، أن العولمة الثقافية أسهمت بشكل كبير في تعميق أزمةُ البحث عن الذات وعن الخصوصية في المجتمعات العربية، نتيجةَ الاستقطاب والجذب الحضاري العاصف، الذي ما فتئت تمارسُه الحضارة الغربية المهيمنة، بتجليها الرأسمالي (الامبريالي)، حين طرحت شعار مركزيةِ الحضارة (المركزية الغربية)، الذي أنتج ما بات يعرف بالعولمة، معلنة أنها تمتلك مشروعا حضارياً كونيا (عالمياً)، لا يمكن لأمة من الأمم الفكاك منه، إلا إذا حكمت على نفسها بالبقاء على هامش ركب الحضارة والتقدم.

ومن جهة أخرى أنتجت العولمة خطاباً هجيناً، يُعتبر فيه التمرّد على الثقافة الوطنية والقومية علامةً من علامات التقدم، والخروج على قواعد اللغة العربية مدعاةً للفخر، الأمر الذي أضعف مقومات الهوية الثقافية وكرس نوع من التبعية للغرب وفق مقولة "عبد الرحمان بن خلدون" "المغلوب مولع بتقليد الغالب".

وتأسيسا على ذلك، فإن ذيوع قيم المركز (الدول الغربية) في الأطراف، وانتشار ظاهرة الاغتراب وزيادة التحيز نحو الثقافات والمجتمعات في الأطراف إلى الغرب والميل والإعجاب به وتقليده واعتباره نموذجا للثقافة العالمية ونمطا للحداثة، أدى ليس فقط إلى تقويض الأمن الثقافي العربي، وإنما أيضا أوجد أعباء إضافية، ومعضلات مستقبلية، أمام مؤسسات الثقافة الوطنية في الدول العربية (قريوة، هماس 2016، ص.95).

4. بحث في الخيارات الإستراتيجية المتاحة لحماية الأمن الثقافي العربي في عصر العولمة وسيادة الثقافة الرقمية

يقتضي تحقيق الأمن الثقافي العربي، الانفتاح على العولمة و منتجاتها ومن ذلك الرقمنة، وفق إستراتيجية محكمة ومدروسة، بحيث يؤخذ من الغرب ما هو **مشترك إنساني عام**، كما يستفاد من كل ما هو **محايد**، ويرفض كل ما يتنافى مع هويتنا الحضارية ومنظومتنا القيمية، فضلا عن أهمية الاستفادة من تجارب الدول الآسيوية وطريقة تعاملها مع العولمة والرقمنة، حيث انفتحت واستفادة من العولمة وحافظت على هوياتها الثقافية وخصوصياتها الحضارية من جهة أخرى.

كما تستدعي إستراتيجية الحفاظ على الأمن الثقافي، إجراء نقاش معرفي واسع النطاق حول **ثوابت القيم ومتغيراتها**. وقد ظهرت بوجه عام، ثلاث اتجاهات أساسية في البحث عن طرائق الحفاظ على الأمن الثقافي العربي في ظل العولمة:

الاتجاه الأول: يدعو إلى بناء هوية ثقافية جديدة تقوم على مبادئ الحداثة ومسايرة الآخر والانفتاح وتقبل ثقافات جديدة، حيث يرى هذا الأخير أن الانغلاق هو موقف سلبي غير فاعل، ذلك أن فعله الموجه ضد الاختراق الثقافي أي محاربته لا ينال من الاختراق، بل أن فعله موجه كله إلى الذات قصد تحصينها، والتحصين إنما يكون مفيدا عندما تكون كون أطراف الصراع على نسبة معقولة من تكافؤ وتوازن القوى والقدرات، كما يرى هذا الاتجاه أن المجتمعات العربية إذا لم تلتحق بركب الحضارة والانفتاح على العولمة ومنجزاتها ستتعرض للتهميش والإقصاء، ولذلك يستحيل العمل خارج العولمة والفضاء الرقمي أو التفكير بغير منطقها (قريوة، هماس 2016، ص.94).

الاتجاه الثاني: يرى أن المحافظة على الهوية الثقافية يستلزم المحافظة على المعالم الأصلية، فتغير القيم الحالية حدث نتيجة التأثر بالثقافات الأخرى أو بسبب التلاؤم مع مظاهر التغير المادي، فالتركيز والحرص على التميز، وضرورة صياغة الذات في ثوب ثقافي تشكله خصوصيات الجماعة الاجتماعية والوطنية بشكل خاص. فهوية الجماعة أو الهوية الوطنية بشكل أعم هي التي تبني سيادة المجتمعات من خلال التميز الذي يناقض الرضوخ والخضوع ثقافيا أو من خلال ترقية الذات بتثمين الخصوصيات الثقافية للمجتمع، فسيرورة المجتمعات وسيادة أمة من الأمم تتم بالاعتماد أولا على تعميق تميزها، أي بالاعتماد على خصوصياتها الثقافية وتوظيفها توظيفا سليما، لأن هذه الخصوصيات هي الأقرب من وجدان الأفراد وأذهانهم، وهي التي تعمل دوما على تكييف شخصياتهم وتهيئتها، كما أنها تقدم نفسها لهؤلاء الأفراد مادة خاما وقاعدة للبناء الاجتماعي والحضاري، وبهذا حتى يتم المحافظة على الهوية، لابد أن يبقى أفراد المجتمع متمسكين بقيمهم المحلية والتي تكون ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والظروف، أو حتى بفعل تأثير مخرجات الرقمنة، وذلك بغية الحفاظ على الذات الثقافية، والتعريف بها للآخر عوض تقليده والتبعية له.

الاتجاه الثالث: يدعو إلى هوية أصيلة بثقافة معاصرة: أصبح الجدل حول طرائق الحفاظ على أمن الهوية الثقافية العربية في عصر العولمة وسيادة الثقافة الرقمية يحظى بأهمية بالغة، حيث وجدت المجتمعات العربية نفسها أمام خيارين، إما المحافظة على القيم الداخلية وإما مسايرة ثقافة الغرب، حيث أنه إذا ما سلك الخيار الأول فإنه يكون قد اختزل ظاهرة عالمية تدخل جميع البيوت، ويفرضها أصحابها بتخطيط وإستراتيجية، والانغلاق في هذه الحالة ينقلب إلى موت بطيء قد تتخلله بطولات ولكن صاحبه محكوم عليه بالإخفاق، لهذا نجد أنفسنا بحاجة للتبادل الثقافي بأطره الحضارية والاقتصادية والاجتماعية بين المجتمعات، وفي هذا الصدد يقول **"عبد المنعم محمد بدر"**، "من المتوقع أن يزداد الاغتراب عند الفرد في مرحلة الانتقال من عصر ما قبل العولمة والذي هو من وجهة نظرنا لا يزال في إرهاصات البداية، فالمجتمعات الآن تنتقل من تقاليدها التي عاشتها إلى حال جديد عليها، لذلك فهي تستشعر ما يسمي بالاغتراب الثقافي حيث تخشى الغزو الثقافي وتشعر أحيانا بالضياع، وقد تجد المجتمعات نفسها إما في حالة الاغتراب أو أنها تنهر بوسائل الغزو الثقافي فتمتثله ومن ثم تتقبله، فإذا تمثله المجتمع فهو يعيش في حالة اغتراب، وإ ذا قاومه ورفضه فهو يعيش مشكلات الصراع الثقافي." (المطرفي 2005، ص.24) وإن اتبع خيار الذوبان في الثقافة الغربية العولمية، فإنه يقع في أزمة الاغتراب والانسلاخ عن الأصول والثوابت، مما ينتج عن ذلك في فقدان المجتمع لهويته.

تأسيسا على ذلك، بات لزاما على المجتمع أن يعمل على **إحداث توازن بين الأصالة والمعاصرة لينتج هوية أصيلة بمعايير عصرية وفق منطق تحديث أصالتنا، وتأصيل حداثتنا**، وذلك بوضع نسق أو نظام للمعايير والقيم يستطيع من خلاله الفرد التعامل مع الأشخاص والمواقف والأشياء، حيث أنه إن غابت أو تضاربت القيم يصبح الإنسان مغتربا عن ذاته وعن مجتمعه، وبالتالي يدخل المجتمع في الصراع القيمي الذي يؤدي بالنظام الاجتماعي إلى التفكك والانهيار والتلاشي والضعف. وبالتالي فإن تحقيق هوية ثقافية تساير الثابت والمتغير تستلزم إحداث توازن بين قيم ثابتة وهي القيم الإسلامية، وبين طموح الاندماج العالمي وبين فئات محلية منقسمة فيما بينها على أساس العادات والتقاليد...الخ (حجاج 2003، ص.90).

ويضاف إلى ما سبق، يتعين على المجتمعات العربية في سبيل الحفاظ على أمنها الثقافي أن لا تقف في تعاملها مع الغرب والنظام العولمي بمختلف إفرازاته موقف **المستهلك والزبون**، وإنما يتوجب عليها التعامل معه من منطلق **ناقد ومتفهم**، ومدرك مدى سذاجة النقل الأفقي للتكنولوجيا وما يترتّب عنه من قيم وأنماط سلوك هجينة، ويعمل على استيراد **الأفكار المنتجة** قبل أن يستورد الأشياء والسلع الاستهلاكية (الحلاق 1998، ص.330).

وفي هذا الإطار ، تضمنت **الخطة العربية لتحقيق للأمن الهوياتي والثقافي العربي** عناصر هامة، ومن ذلك:

- ضرورة رسم سياسة ثقافية وهوياتية عربية واحدة واضحة الأهداف والمعالم والوسائل.
- العمل على القضاء على جميع آثار الاستلاب الثقافي والغزو الفكري ظاهرا ومستترا.
- وجوب دعم اللغة العربية واستخدامها في كل وسائل الإعلام والثقافة.
- تعزيز دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافية بما يساهم في الحفاظ على الهوية أمام تحديات الغزو الثقافي.
- الإيمان بالدور الحضاري الرائج للثقافة العربية.
- تحقيق التكامل والتنسيق بين أجهزة الثقافة وأجهزة التعليم والإعلام (النجيري 1991، ص.ص.241-242).

على ضوء ما تقدم، يمكن القول، أنه إذا كانت مواجهة المجتمعات العربية للتحديات الجيوثقافية التي تفرزها العولمة والرقمنة، قد تعثرت إلى الآن، فذلك لأنها لم تتعامل تعاملاً صحيحاً لا مع تراثها ولا مع الآخر، لذلك توجب عليها التعامل مع تراثها على أساس فهمه من داخله، ومع الفكر "العالمي" فتبني لنفسها منهجاً علمياً موضوعياً للجانبين معاً، يساعدها على الربط بينهما، علاوة على الانطلاق من الذات، وتأصيل الممارسة النظرية، وتأكيد الاستقلالية الفكرية، والهوية الثقافية، والوحدة التكاملية داخل هذه الهوية، بين مختلف مكوناتها: الروحية والتاريخية والمادية (الحلاق 1998، ص.30).

خاتمة:

على ضوء ما سبق، توصلت هذه الورقة البحثية مجموعة من النتائج ومن ذلك، أن سيادة الثقافة الرقمية وما تنطوي عليه العولمة من تيارات للغزو الثقافي، التغريب، مخاطر التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال..، أفضت إلى إفراز مضاعفات خطيرة على الهوية الثقافية والمنظومة القيمية للمجتمعات العربية، ولذلك فإن تحقيق الأمن الهوياتي العربي يتطلب مجهودا كبيرا وعملا متصلا ومنظما من قبل الحكومات والمؤسسات والأفراد في الوطن العربي وبدون ذلك فإن خصوصيات وهويات المجتمعات العربية ستكون عرضة للاختراق والاحتواء بفعل تأثير قوى العولمة وسيادة الثقافة الرقمية.

كما أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافية، أصبحت مدعوة أكثر من أي وقت مضى للاضطلاع بأدوار فعالة في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية، من خلال العمل على تحقيق يقظة إستراتيجية وبث الوعي بشأن المخاطر التي تنطوي عليها الرقمنة والعولمة على الأمن الثقافي العربي.

كما خلصت الورقة البحثية، إلى إن الانفتاح المطلق للمجتمعات العربية على العولمة ومنجاتها دونما إستراتيجية مدروسة، أدى إلى تقويض دعائم الأمن الثقافي العربي. ولذلك فالحفاظ على خصوصيات المجتمعات العربية وهوياتها، يقتضي بالأساس انتهاج انفتاح مدروس على الغرب وعلى النظام العولمي، فضلا عن إحداث نوع من التوازن بين الأصالة والمعاصرة ومدى اعتماد المجتمعات العربية على هوية أصيلة بمعايير عصرية.

وتأسيسا على ما سبق، فإن المجتمعات العربية ليست بحاجة لمن ينصحها بالمسارعة في ركوب قطار العولمة ومنتجاتها، قبل أن يتركها في محطاتِ التخلف..، فهي على استعداد لركوب هذا القطار، لكن كركاب بشر، يحملون هوياتهم، وجوازات سفرهم، وأشياءهم الخاصة، ويعرفون وجهة سفرهم..، لا أن يُحملوا إليه دونما هدف أو رؤية إستراتيجية واضحة.

قائمة المراجع

أولا: باللغة العربية:

1. أوشن، س. (2016)، "العولمة والأمن الهوياتي". المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد 09.
2. بريجة، ش. (2015). التغيرات السوسيوثقافية وأثرها على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري. أطروحة دكتوراه في العلوم الاجتماعية. جامعة وهران2: كلية العلوم الاجتماعية.
3. بوحسن، أ. (2019). الأمن الثقافي. دبي: مؤسسة سلطان بن علي العويس للثقافة.
4. تركي، ص. (1998). الإعلام العربي وتحديات العولمة. دمشق: وزارة الثقافة.
5. التويجري، أ. (فبراير 2000). "الدين والعولمة". المجلة العربية. العدد 273.
6. الجابري، م. ع. (1998). العرب والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
7. الجابري، م. ع. (أكتوبر 1999). "العولمة والهوية الثقافية ...عشر أطروحات". مجلة المستقبل العربي. العدد 248.
8. حجاج، ق. (2003). "التنشئة السياسية في الجزائر في ظل العولمة بعض أعراض الأزمة ومستلزمات الانفراج". مجلة الباحث. العدد 02.
9. الحلاق، م. ر. (1998). "العولمة وسؤال الهوية". مجلة الفكر السياسي. العدد الرابع والخامس.
10. سنو، غ. (2002). الهوية الوطنية والمجتمع العالمي والإعلام. بيروت: دار النهضة العربية.

11. عرسان، ع. ع. (1998). "العولمة والثقافة"، مجلة الفكر السياسي. العدد الرابع والخامس.
12. قريوة، ز. ه، ل. (2016). "رهانات تحصين الهوية في ظل غزو العولمة الثقافية". مجلة العلوم الإنسانية. العدد 06.
13. لولي، ح. (جوان 2017). "الثقافة الرقمية في وسط الشباب"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد 29.
14. المطرفي، ش . (2005). الاغتراب الوظيفي وعلاقته بالأداء. رسالة ماجستير في العلوم الأمنية. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
15. المنير، م. س. (2000). العولمة وعالم بلا هوية. المنصورة: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
16. النجيري، م. م. (1991). الأمن الثقافي العربي: التحديات وآفاق المستقبل. الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.
17. هانس بيتر، مارتن. شومان، ه. (1998). فخ العولمة. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ثانيا: باللغة الأجنبية:

18. Abou, S. (2002). L'identité culturelle-suivi de cultures et droits de l'homme. Paris : presse de l'université saint-Joseph.
19. Buzan, B. (1991). People States and Fear: An Agenda for International Studies in the Past Cold War Era. Boulder: Lynn Rinner Publisher.
20. Columba, P. (2010). Critical Security Studies. New York: Routledge.